

الزواج

يقول المولى عز وجل (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون) ويقول النبي ﷺ (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).

حديثنا اليوم عن الزواج. والزواج سنة الله في هذا الكون. فبه تستمر الحياة وبه تحدث الألفة بين الناس وبه تتعارف القبائل والشعوب. والزواج حصنٌ للفرج وغضٌ للبصر وأمانٌ من انتشار الفساد وانحلال الأخلاق واختلاط الأنساب وضياح الأمة. وقد رغبتنا به الله سبحانه وتعالى وحث عليه الرسول ﷺ ونهى عن التبتل والانقطاع عن الزواج. ففي الصحيحين من حديث أنس أن ثلاثة رهط جاؤوا إلى بيوت أزواج النبي فسألوا عن عبادته. فلما أخبروا بها كأنهم تقلوها <أي وجدوها قليلة> وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فأصلي الليل أبداً وقال الآخر وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال أنتم الذين قتلتم كذا وكذا؟! أما والله إنني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني. متفق عليه. وهو القائل (الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة). لما سألت الربابُ ابنة سعيد بن المسيب سيد التابعين أباهما عن قوله تعالى (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) قالت يا أباي: أما حسنة الآخرة الجنة، فما حسنة الدنيا؟ قال لها: الرجل الصالح للمرأة الصالحة والمرأة الصالحة للرجل الصالح.

عباد الله: هناك مقاييس لاختيار الزوج والزوجة وهو الدين والخلق. فإذا أراد الرجل أن يتزوج فعليه بذات الدين والخلق وإذا أراد الرجل أن يُزوج ابنته أو أخته فليبحث لها عن الرجل الصالح صاحب دين وخلق. تقول السيدة عائشة (النكاح رق، فلينظر أحدكم أين يضع كريمته) وجاء رجلٌ إلى الحسين بن علي فقال: إن لي بنتاً فمن ترى أن أزوجه؟ قال: زوجها ممن يتقي الله! فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها. والرسول ﷺ يبحث الرجل أن يتزوج صاحبة الدين والخلق فقال (تُنكحُ المرأةُ لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها: فأظفر بذات الدين تربت يداك " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) ويحثُ ولي المرأة أن يَختيرَ الرجل الصالح لوليته فقال ﷺ (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه). يأتي جليبيب إلى رسول الله ﷺ فيبئسهم الرسول في وجهه ويمارحه ويقول له: يا جليبيب تريد الزواج؟ فقال: يا رسول الله ومن يزوجني ولا أسرة عندي ولا مال ولا دار ولا شيء من متاع الدنيا؟ وكان مع ذلك دميم الخُفَّةِ ولكنه كان يملك إيماناً كالجبال الراسيات. افتقده الرسول في غزاة أحد فقال الرسول لأصحابه: هل تفتقدون أحداً؟ قالوا نعم. فلاناً وفلاناً وفلاناً. ثم قال لهم: هل تفتقدون أحداً؟ قالوا: لا. قال: ولكني أفتقد جليبيباً. فبحثوا عنه في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قتلهم ثم قتلوه. فجاء إليه الرسول ﷺ فقال: هذا مني وأنا منه، قتل سبعة ثم قتلوه. ولقد جاء قبيل أن يستشهد في هذه الغزوة إلى رسول الله ﷺ فقال له: اذهب إلى ذلك البيت من بيوت الأنصار فأقرئهم مني السلام وقل لهم إن رسول الله يأمركم أن تزوجوني. فذهب وطرق عليهم الباب وكانوا من سادات الأسر ومن كُبريات الأنصار. فخرج ربُّ البيت ورأى جليبيباً وهيئته وفقره وعوزه فقال له: ماذا تريد؟ فأخبره الخبر. فعاد إلى زوجته فشاورها ثم قال: ليته غير جليبيب. لا نسب ولا مال ولا دار. فلما شاورا البنت الصالحة التي تربت في مدرسة التوحيد قالت: والله لا نرد رسول الله ﷺ فتزوجها جليبيب. وعمّر بها بيته الذي أسسه على تقوى من الله ورضوان.

وهكذا كان سلف الأمة يبحثون عن الدين والخلق. عمر بن الخطاب يتجول في شوارع المدينة ويتفقد رعيته وإذا به يقف عند أحد الأبواب ويسمع حواراً دار بين أم وابنتها. كانت الأم تتبع اللين وكانت تخط اللين بالماء فقالت لها ابنتها: يا أمي اتق الله ولا تغش المسلمين وتخالف أمر أمير المؤمنين!. فقالت الأم وأين أمير المؤمنين منا؟ قالت لها البنت: يا أمه إن كان أمير المؤمنين لا يرانا فإن الله يرانا. فما كان من عمر إلا أن ذهب إلى أبنائه وقال لهم: من منكم يتزوج بنت بائعة اللين؟ فتزوجها عاصم بن عمر بن الخطاب. وعاش معها عيشة هنيئة وأنجب منها فتاة سماها ليلي وتزوجها عبد العزيز بن مراون فأنجبت منه خامس الخلفاء الراشدين ومجدد القرن الأول عمر بن عبد العزيز. وهذه ثمرة كل زواج يكون أساسه الإيمان والتقوى.

فليتق الله أولياء الأمور وليبحثوا لبناتهم عن أصحاب الدين والخلق. وليس عيباً أن يبحث الرجل لابنته عن رجلٍ صالح. وإنما العيب والخزي والعار والحسرة والندامة في الدنيا والآخرة عندما تزوج ابنتك أو أختك من رجلٍ فاسقٍ فاجر لا يعرف الله حقاً ولا يردعه خلقٌ ولا دين!!!. كم في البيوت من المطلقات!!! الآتي لم يتجاوز عمرهن العشرين!!! والسبب في ذلك أن هذه الزيجات لم تكن على الإيمان والتقوى وإنما كانت مبنية على مصالح مادية. يريد أن يكون زوج ابنته مهندس كبير أو طبيب عظيم ولا يهمله الدين. ولقد وصلتني رسالة من إحدى الأخوات تشكوا فيها حالها إلى الله وتشكوا والدها الذي يريد إجبارها أن تتزوج برجلٍ لا يصلي. وأقل لك أياه الأب: يا عبد الله! كيف تأمن على ابنتك مع إنسان لا يصلي؟ مع رجل قطع الصلة بينه وبين الله ونقض العهد الذي بينه وبين الله. والرسول ﷺ يقول: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر. ويقول ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة. فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله). أمر الله نبيه أن يقاتل هذا الإنسان حتى يسجد لله وحتى يركع لله. ويوم يترك الإنسان الصلاة ولا يأتي إلى المساجد يصبح بلا قيمة ولا وزن ولا كرامة ولا مكانة. وحكم تارك الصلاة بين كافر وفاسق وفي كلا الحالتين يسفك دمه ويقطع رأسه بالسيف. قيل يقطع حداً وقيل كفراً.

فلنتق الله في بناتنا ولنختار الصلحاء لأبنائنا وبناتنا. فهذا عمر بن الخطاب يبحث لابنته حفصة عن الخُطاب ويعرضها على عثمان فيرفض. ثم يعرضها على أبي بكر الصديق فيرفض. فيسر الله لها خير الخلق محمد ﷺ. وهذا سعيد بن المسيب سيد التابعين يتقدم لخطبة ابنته الخليفة عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ولي العهد فيرفض سعيد. وبزوجها لتلميذ صالح صاحب دين وخلق من تلاميذه، اسمه عبد الله بن أبي وداعة. كان يواظب على دروس إمامه وماتت زوجته فاشتغل بها وغاب أياماً عن دروس العلم في حلقة شيخه. فلما عاد قال له سعيد: أين كنت؟ قال: توفيت زوجتي وانشغلت بها. قال له: وهل استحدثت امرأة غيرها؟ قال: ومن يزوجني ولا أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال: أنا أزوجك. فحمد الله وأثنى عليه وصلى على الرسول وزوجه بابنته على درهمين أو ثلاثة. فرجع التلميذ إلى البيت وهو لا يدري ما يصنع من الفرح. فلما وصل إلى البيت إذا بالباب يُفزع قال التلميذ: من الطارق؟ قال: سعيد. قال التلميذ: فكرت بكل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب. فهو لم يُر منذ أكثر من أربعين سنة إلا بين البيت والمسجد. فيفتح الباب وإذا به سعيد بن المسيب فقال التلميذ في نفسه: لعله رجع عن كلامه. فقال لشيخه: لو أرسلت إلي لأنتيك. فقال سعيد: أنت أحق أن تؤتى. وقد كنت رجلاً عازباً فتزوجت. وكرهت أن تنبت الليلة وحدك وهذه امرأتك، ودفعها إليه وكانت قائمة خلفه. يقول عبد الله بن وداعة: دخلت عليها فإذا هي أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ و والله وجدت

علم سعيد عندها. وعاد التلميذ إلى حلقة شيخه بعد شهر فسأله سعيد عن حاله فقال له: أنا على خير حال, على ما يحب الصديق ويكره العدو. ويروى أن سعيد دفع له بعشرة آلاف درهم.
معاشر الأخوة: إن قصة سعيد بن المسيب وتلميذه عبد الله بن وداعة توييح لمن باع ابنته بالدراهم والدنيا أو الأوراق والجنسية. وأثر سعيد ما يبقى على ما يفنى. فمال والإقامة والجنسية كله زائل. والسعادة والله ليست في الأموال ولا الدور ولا القصور وإنما بالإيمان بالله والعمل الصالح.

لست أرى السعادة جمعُ مال ولكن التقى هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزادِ ذخراً وعند الله للأتقى مزيدُ
وإدراك الذي يأتي قريبُ ولكن الذي يمرض بعيدُ

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

أيها الآباء والأمهات: اتقوا الله في أبنائكم وفي بناتكم. تساهلوا في المهور ويسروا أمور الزواج وتخيروا الرجل الصالح ولا تكونوا سبباً في كساد بناتكم وفوات قطار الزواج عليهن حتى لا تندموا حين لا ينفع الندم.
واسمعوا إلى هذه القصص الواقعية من دعوة البنات الآتي ظلمن على آبائهن. فهذه شابة تقدم إليها الخطاب ولكن أبوها رفض أن يزوجها. فلما تقدم بها السن وحضرت أباهم الوفاة قال لها: يا بنية اجعليني في حل, سامحيني سامحك الله. قالت: والله لا أسامحك. بل عليك لعنة الله كما حرمتني من حقي في الحياة. وهذا رجل آخر يزور أخته بالمستشفى وقد تقدم بها السن ولم تتزوج. ولما أراد أن يزورها في آخر لحظة قالت له: اقترب مني يا أخي! فلما اقترب منها قالت له: حرملك الله الجنة كما حرمتني من الزواج. وفاضت روحها إلى الله.
أيها الأحبة: ومن المؤسف والمؤلم في هذه الأيام ما نراه من تهافت بعض الشباب على الزواج من الفاجرات الداعرات الكافرات. فما أبقى شبابنا فتاة عرجاء ولا صماء ولا عوراء ولا مدمنة خمر ومخدرات إلا وتزوج بها من أجل مصالح شخصية, للحصول على الأوراق أو الحصول على المال أو العمل. ثم لا يفيق من سكرته إلا عندما يُطرد من المنزل بعدما أنجب منها الأطفال من الزنا. تأخذ حاجتها ثم تطرده من المنزل. وهذا الكلام ليس وهماً وليس خيلاً وإنما هو حقيقة. فكم من أخ جاء إلى هنا وبكى كالنساء. ففي بداية أمره أتى بها ونصحنه ثم أبى إلا الزواج بها. ويفرح هذا المسكين ويقول لي يا شيخ: إنها تقول بسم الله والحمد لله وإنما امتنعت عن أكل الخنزير ولا تشرب الخمر. إنها خير من العربيات. يقول ذلك بسبب أنانيته وغبائه. وأنا أسألك بالله يا أخي سؤالاً: من الذي سوف يربي لك أولادك؟ وهل تظن هذه التي لا تستطيع أن تتطيق الشهادتين ستربي أولادك على الدين؟ فاقد الشيء لا يعطيه. والواقع أكبر شاهد على ذلك. وأسألك سؤالاً آخر: أيهما أفضل أن يكون خال أولادك ميكيل, أنطونيو وخوان أم عبد الله عبد الرحمن ومحمد؟؟!!!